

ما يحصل لهم من كرامات وألطف إلهية. بل إنهم، كما سبق أن رأينا، يناشدون الناس عدم تقل ما يشاهدونه منهم من أمور عجيبة. ثم إذا افترضنا أنه أخبر بحكايته، فمن يا ترى سيصدقها؟ سيعتقد الناس أن به مسأ من الجن أو وسوسة من الشيطان وسيلحقون كلامه بحديث خرافة وبأحاديث طسم وأحلامها. فالشرط الأساسي للكرامة ألا يخبر بها الولي، وإنما أشخاص آخرون يشاهدونها ثم يروونها، ولا بد أن يكون الرواة معروفين بأسمائهم جديرين بالثقة. ولهذا نرى ابن الزيات حريصاً على ذكر مصادره وإثبات أسماء مخبريه ومشغولاً بالتأكد من صدقهم وأمانتهم. فالكرامات ينبغي أن تنتشر «بالسنة الثقات»⁽¹⁶⁾ و«بنقل أرباب المساند»⁽¹⁷⁾ وتصح عندما ينقلها راوٍ «مُتَحَقِّقٌ فيما رَوَاهُ مُتَحَقِّقٌ»⁽¹⁸⁾. وكثيراً ما يضيف ابن الزيات، بعد إيراد كرامة من الكرامات، تعليقاً يؤكد صحة الخبر: «وهذه القصة مشهورة صحيحة»⁽¹⁹⁾ «حدثني بهذه القصة وقال لي إنها صحيحة»⁽²⁰⁾...

لا مجال إذن للاعتقاد بأن أبا سهل كان وحيداً في الفلاة عندما خاطبه الجمل. كل القرائن تثبت أنه كان ضمن قافلة، ضمن جماعة من المسافرين شاهدوا ما جرى وسمعوا كلام الجمل ثم أخبروا بالقصة. ورغم أن الإسناد غير مثبت في الترجمة بصفة دقيقة، فإن هناك إحالة إلى عددٍ هائلٍ من الرواة: «ونقل الخلف عن السلف...». القصة ليست مسندة إلى أشخاصٍ محددين ومعينين، وإنما إلى سلسلة من الناقلين لم يسمهم ابن الزيات لكثرتهم ولأن ما روه أصبح معروفاً متواتراً، وشاع في الأرجاء فارتفعت ضرورة الاحتراز والتثبت في نقل الخبر.

(16) ابن الزيات، ص. 113.

(17) ابن الزيات، ص. 114.

(18) ابن الزيات، ص. 113.

(19) ابن الزيات، ص. 477.

(20) ابن الزيات، ص. 274.